

بؤني الحكمة من قضاء ومن بؤن الحكمة هذاوني
خيرا كثيرا وما يذكرك الا اولو الالباب

المجلد الخامس عشر

١٣١٥

بؤني الحكمة من قضاء ومن بؤن الحكمة هذاوني
خيرا كثيرا وما يذكرك الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر - سلخ المحرم ١٣٣٠ هـ ق - ٢٩ الشتاء - الأول ١٢٩١ هـ ش ٢ يناير ١٩١٢ م)

فاتحة المجلد الخامس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللهم وانت ولي الحمد ، والهادي الى سبيل الرشده ، ولك
الأمر من قبل ومن بعد ، لكل شيء عندك قدر ، ولكل قدر أجل ،
والكل أجل كتاب . يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)
ونصلي ونسلم على محمد نبيك المصطفى ، ورسولك المجتبي ، الذي
ارسلته كافة للناس بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ، وآتية

الحكمة وفصل الخطاب ، وأنزلت في محكم الكتاب (فبشر عباد الذين
يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك
هم أولوا الألباب)

(وبعد) ، فقد دخل المنار في هذا العام في السنة الخامسة عشرة من
عمره وهي سن بلوغ الحلم الغالب في الانسان ، وبدء الرشد في عرف
شريعة الاسلام ، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يلمتنا فيه رشدنا ، ويبلغنا
قصدنا ، وينفعنا بما نطلبه في هذه الفوآتح من نصح الناصحين ، ونقد
الناقدين ، ومن آيات الفوز والرشاد : أن وفقنا عز شأنه للشروع على رأس
هذه السنة في تنفيذ نظام مدرسة (دار الدعوة والارشاد) التي نرجو أن
تكون خير ما انشئ في البلاد ، لاصلاح ما استشرى من الفساد ،

قطع المنار هذا الطور الاول من حياته وحده ، فدرج درجان الطفل
غادر مهده ، الى أن بلغ رشده ، فلا أخذ بيده أمير ، ولا أعانه وزير ،
ولا أمده غني كبير ، اللهم الا ان مصطفى رياض باشا (نعمده الله برحمته)
وكان نسيج وحده في كبراء هذه البلاد ، في اعانة الصحف ومساعدة أرباب
الاقلام ، وكذا سائر ما يقتد نفعه من الاعمال ، ارسل الي مرة قيمة
الاشترك مضاعفة اضعافا ، فقات لرسوله اني لا أقبل من أحدمالا لا مقابل
له مني ، فعاد الي بها فاشترك بعد ذلك بعشر نسخ من المنار ثم جعلها خمس
عشرة نسخة ، وجعلها نجله محمود باشا من الباقيات الصالحات له ، واني
أعلم كما يعلم كثير من الناس ، أن المنار لو صدر على عهد وزارة رياض ، لكان
مساعدته بنقوده ، أضعاف ماتي من مقاومة غيره ، فانه كان مقرما به ، كثير
الذكر له والثناء عليه في مجالسه ، وكان مثل هذا أمرا مفقولا في عهد وزارة ،

واذا كان رياض باشا قد حسن قوله في المارچ وعمله ، فإلى لا أذكر
بالخير من حسن قوله ونيتة بذلك ابراهيم باشا فؤاد الذي كان ناظر الحفانية
رحمه الله تعالى ، كان يرى ان المارچ أتبع الصحف للمسلمين ، ويود لو يتم
انتشاره بين طلاب العلوم وجميع الطبقات ، وقد سمعت منه منذ السنة
الاولى ما يدل على رأيه هذا ، واخبرني بمثل ذلك عنه احمد فتحي زفول
باشا ، وقال انه إذا ذكره في وضع مشروع لتوزيع المارچ على طلاب العلم والفقراء
من القراء بشمن قليل جدا لا يثقل على أحد منهم او جعل ثمنه قليلا لكل
قارئ بجمع مال بالا كتاب يرصد لذلك . ففكر رحمه الله تعالى في ذلك
وقدر ، وداكر وشاور ، ثم لم يعمل شيئا ، فجزاه الله على نيتة خيرا
اشرت في فوائح السنين الماضية الى ما كان يلقي المارچ من المقاومة
والطرحه ، والمناسبة والمناهضة ، وذكرت في بعضها شيئا من تاريخه
الاصلاحي والسياسي ، وأجيت ان أذكر في فائمة هذه السنة ما فيه
العبرة من تاريخه المالي ، إذ يظن بمض الناس أنه أصاب كفلا من
المساعدة والامداد ، المعتاد مثله في هذه البلاد ، فلم أجديه الا ما ذكرته
لرياض باشا من قول وعمل ، ولا ابراهيم باشا فؤاد من قول ونية ، ورياض
باشا هو الذي اخذ بأيدي أصحاب الصحف الكبرى بمصر في أيام وزارته ،
سواء كانوا من نصارى السوريين ، أو القبط أو المسلمين ، فهو صاحب
الفضل الأول على الأهرام والمقتطف وجريدتي الوطن فالثويد ، ساعد هذه
الصحف مساعدة الوزير النافذة إرادته ، المسموعة كلمته ، اللطاع أمره
واشارته ، الطويل باعه المبسوطة يده ، فمساعدته للمارچ لا تفرق بمساعدته
لتلك الصحف ، وانما أقول هذا مزيداً في تكبيره في نفسه ، وتمييزه

بين ابناء جنسه ، لا لتصغير مسروقه والتقصير في شكره
لعله لولا مثل تلك الموازنة لما نبتت تلك الصحف في أرضنا نباتاً حسناً
ولما استغلظ نباتها واستوى على سوقه، ولما أينمت ثمرتها وآتت أكلها، ذلك
بأن الجهل وضعف الاخلاق وفساد نظام الاجتماع جعل بلادنا كالأرض
السيخة ، لا تنمو فيها شجرة العلم الا بعناية خاصة من الخاصة ، وهما نحن
أولاء قد تعودنا قراءة الصحف اليومية عشرات من السنن ، وصرنا
نمدها من حاجات الحضارة والمدنية ، ولكن هياتنا الاجتماعية لا تزال
قاصرة او مقصرة في القيام بما يجب من حقها ، لما ذكرنا من ضعف
النفوس ومرض الاخلاق فيها ، حتى إن كثيرين من رجال الطبقة العالية
فيها كالمدرسين والمؤلفين والقضاة يطلون ويسوفون فيما يجب عليهم من
اشتراك الجريدة او المجلة ، ومنهم من يهضم هذا الحق ويستعمل أكله ،
ومن الوقائع القريبة في ذلك أن بعض المعروفين بشرف النسب والثروة
والعلم والتأليف قال لو كيل المجلة بمد ان ارجأه طويلاً اني لا ادفع قيمة
الاشتراك لانني من العلماء !! فاذا كان أكل اموال الناس بالباطل ،
مما يجهر به الشريف الفني العالم ، ويمده من ثمرات العلم ومزايا العلماء ،
فمن نتظر الوفاء ؟ دع التعاون على المصالح العامة والاصلاح ، لا أقول
نقطمت من هذه الأمة جميع اسباب الوفاء والتعاون ، وانبتت سائر حبال
التكافل والتضامن ، وانما أقول ان ذلك قد قل فيها وضعف ، على نحو
ما اصف ، وكان من أثره ضياع ملكها ، وهو ان امرها ، وهذا ما نفي بعلاجه ،
ونسعى لتلافيه ، ووالله لو كان هذا المنار يراد للكسب ، لما بلغ سن الرشده
الخير والكمال للمرء ان يعمل باستقلاله ، وان لا يكون لأحد

عليه فضل ولا منة ، بأن لا يأخذ منه مالا بغير مقابل ولا جزاء لمنفته الخاصة ، وان كان يستعين به على المصلحة العامة ، وأما قبول المال لا تقاؤه في صالح الاعمال ، فهو لا ينافي الفضيلة والكمال ، كأن يشترك مرید الاعانة المالية للصحف الدورية ، او الكتب العلمية ، بنسخ من الكتاب ، توزع على من شاء هو أو شاء المؤلف من القراء ، كما قبلنا اشراك المرعوم رياض باشا بخمس عشرة نسخة من المنار ، واشترك ذلك المحسن المستر في العام الماضي بست نسخ منه ، واشترك (مولوي محمد انشاء الله) صاحب جريدة (وطن) في مدينة (لاهور) بمئة نسخة من كل جزء يصدر من تفسير المنار ، توزع على خطباء المساجد في بعض الاقطار ، وكان اقترح علينا هذا الفاضل ان يجعل لنا راتباً شهرياً مدة الاشتغال باتمام التفسير ، بشرط اتمامه في زمن قريب ، فلم نقبل هذا منه ، لانه جزاء على عمل نعمله لله عز وجل ، لا ترويح له كالاشتراك ، ولنا بذلك اسوة بفيناصلى الله عليه وسلم ، وصاحبه الصديق الاكبر ، فقد ورد أن ابا بكر رضي الله عنه قد اتفق جميع ماله في سبيل الله ورسوله ، وورد ان النبي (ص) لم يقبل منه الراحة يوم الهجرة الاثمنها ، وورد أن ابا بكر لم يسأل النبي (ص) لنفسه شيئاً قط ، وانما قبل النبي (ص) ماله لا تقاؤه في نشر دعوة الاسلام لا لنفسه . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحتاج الى النفقة على أهله احياناً فيقترض من اليهود ، وكان يجزي على الهدية ، ولا يقبل الصدقة البتة ، لان الله كرمه بتحريمها عليه وعلى أهل بيته ليكونوا قدوة للناس بعمزة النفس ورفضها

تلك هي الفضيلة وذلك هو الكمال ، ولمثل هذا هدانا الاسلام ، ولكن العمل بما دون هذه الدرجة العليا من الكمال الاسلامي صار عسرا

جدوا لقلة المواتي والمشارك فيه ، والمصين عليه ، وأما ارتقاء تلك الدرجة ، بل المزوج الى تلك الذروة ، فأوشك ان يكون من خوارق العادات ، التي قد ينالها بمض أهل العزلة والافراد ، دون أصحاب الاعمال العامة التي تصلح بها أحوال الناس ،

علمنا من كتاب الله تعالى ومن الاختبار المصدق له ، أن الناس ازواج ثلاثة في كل شأن ، كما كانوا في كتاب الله عز وجل « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » وانما تعد الامم وتشقى بحسب النسبة المددية في كثرة هذه الازواج وقتها . فالامة التي يكثر فيها الظالمون لا تقسم^(١) بترك ما يجب عليهم ، ويقل المقتصدون ، الذين هم للحقوق يؤدون ، فلا يلوون ولا يظلمون ، ويندر أو يفقد السابقون بالخيرات ، الذين لا يقفون عند حدود اداء الواجبات ، بل يزيدون عليها ما شاء الله من النوافل والتبرعات ، وينهضون بالمصالح العامة ، ويقومون بالمنافع المشتركة ، فتلك هي الامة التي يتهدم بناء مجدها ، ويزول عزها وملكها ، وتصير مستعبدة لغيرها ، وتختصر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين

وأما الامة التي يقل فيها الظالمون ، ويكثر فيها المقتصدون ، ويكون زعماءؤها والقائمون بمصالحها ، من السابقين بالخيرات ، المتعاونين على أتم الأعمال ، فتلك هي الامة التي ترث الارض ، وتستمتع بنعمة السيادة

(١) ان الذي يمنع الحق الذي عليه للناس يكون أشد ظلما لنفسه ممن يمنع حق الله ، لان الله لا ينقر له حقوق عباده ، ولانه يكون قدوة سيئة ومفريا لغيره بظلمه

والملك ، وتسابق مع من يشاركها في صفاتها الى غايات المجد المؤثر .
ويكون السبق للامثل فالامثل

نحن ولا كفران لله من المتخلفين المقصرين ، وقد سبقتنا الامم كلها بعد
أن كنا نحن المقتصدين والسابقين ، والظالمون لا تقسم وامتهم ، نافر يقان :
فريق يجهلون علمه ما جهلوا أو تركوا من هدي الدين ، وهو ما عمل به سلفهم
فكانوا هم الائمة الوارثين ، ويحاولون ان يقطعوا هذه الامة أجمعاً ، ويسلكوا
بها الى المدينة طرائق قددا ، وهم ما عرفوا حقيقة المدينة الفاضلة وكنها ،
ولا ما يصلح للمسلمين ويتفق مع طبائعهم منها ، ولكنهم في طلب قشورها
مقلدون ، هذا تركي يقول يجب ان تكون السيادة والسلطة للترك ، وهذا
عربي يقول اذا لم تكن المساواة فالعرب أولى بالملك ، وهذا مصري يقول
مصريون قبل كل شيء ، وهذا فارسي يقول اننا فارسيون قبل كل شيء ،
والامم الظالمة من ورائهم تقول أنكم مسودون قبل كل شيء ، ومستبدون
بعد كل شيء ، لانكم لستم بشيء ، فأولئك هم المنقرنجون ، الذين يفسدون
في الارض ولا يصلحون ، (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما
نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

ومن دونهم في الجناية على الامة ، واطالة اجل النعمة ، فريق آخرون ،
لا يسيرون بالناس ولا يدعونهم يسيرون ، وهؤلاء هم الذين يدعون أهل
الجمود ، الذين رزقوا بالحمول او القنوط ، ويستندون بقرب الساعة وفساد
الزمان ، وخروج الاصلاح من محيط الامكان ، وفسوق أرباب الملك
والسلطان ، وانك لتجدهم على ما لبسوا من ثياب الدين ، أذلة على المفسدين
والظالمين ، أعزة على الصالحين المصلحين ، فهم يجذبون الامة من ورائها

لتصبر على المكث في جحر الضب ، كلما جذبها أولئك من أمامها لتخرج الى باحة الفسق ، يضيعون على الأمة دنياها ، ويمجزون ان يحفظوا عليها دينها ، ذلك بأنهم في دينهم من المقلدين ، فلا يستطيعون إقامة حجته على المستقلين ، ولا دفع الشبهات التي ترد عليه من المعارضين ، وقد وعد الله بنصر من ينصره وما هم بمنصورين ، وكتب القلب لحزبه وما هم بغالين ، وراهم قد غلب عليهم الفل « والله العزة والرسولة وللمؤمنين »

هذه حالنا التي نندرامتنا سوء مقبتها في كل عام ، فيتمارون بالنذر ويتبارون في الآثام ، ويزدادون في التفرق والانقسام ، الى ان شعروا بزوال ملكهم في هذه الايام ، صحت سمعهم صيحة سقوط الدولتين اللتين لهم في الشرق والغرب ، وتلما صيحة الدولة الملية وهي في مكان القلب ، فعسى ان يكون الوقر قد زال من اسماعهم ، والفشاوة قد انقضت عن ابصارهم ، والرين قد انكشف عن قلوبهم ، وأن يدركوا بعد هذا كله أن المصلحين فيهم هم الأمة الوسط ، التي تجتمع بين مطالب الروح والجسد ، وتقيم امر الدنيا والدين ، كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب ، الذي يزداد أهله نموا في الارض ، وقد وفقهم الله في عام الرشد لتأسيس دار الدعوة والارشاد ، وستفتح ابوابها لجميع المسلمين من جميع العناصر والبلاد ، ويتلو لسان الحال على رؤس الاشهاد ، (يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد » فتذكرون ما أقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد)

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني

ناظر دار الدعوة والارشاد بمصر